

وتنوع الأحداث في القصة؛ يعطي المتعلم سعة في التفكير، ويبعد عن نفسه السامة والملل، ومن المعلوم لدى علماء التربية أن القصة من أنجح الوسائل في التوجيه، وقد سبقهم القرآن الكريم بأكثر من أربعة عشر قرنًا في ذلك.

وقد تميزت هذه السورة الكريمة بميزات عدة عن غيرها من القصص القرآني، فهي أحسن القصص، كما قال الحق تبارك وتعالى في ذلك: {تَحْنُ نَعْمٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ} (يوسف: 3).

فالقصة قد اشتملت على أبطال ذوي أدوار مختلفة، وشخصية يوسف - عليه السلام - مثلت الشخصية الرئيسية في السورة الكريمة.

وتظهر شخصيات أخرى ذات دور فعال في القصة وأخرى ذات دور جزئي، إذ إن هذا التعدد في الشخصيات والأدوار يعطي تنوعًا في المبادئ والقيم والمهارات التي يراد غرسها في الناشئة، وأخرى غير مرغوب فيها، يعمل الناشئة على تجنبها.

فلم تقتصر قصة يوسف - عليه السلام - على تنوع في الشخصيات؛ بل إننا نجد أن هناك حديثًا عن المجتمعات التي كانت في ذلك الوقت؛ لزيادة المعرفة في حال تلك المجتمعات وتصوّراتها وقيمتها. وعرضت السورة المجتمعين: الشامي والمصري، زمن يوسف عليه الصلاة والسلام. فأظهرت المدنية التي قامت في مصر وحالة الترف التي كان يعيشها أهلها، وفي المقابل تبين ما كان عليه أهل الشام من بدو وفقر، وبساطة في العيش.

واحتوت السورة على الكثير من الحوارات، التي يلاحظ أن أغلبها كان متمحورًا حول شخصية يوسف - عليه السلام - بشكل مباشر أو غير مباشر، وأيضًا الحوار الذي يهدف إلى إيصال الفكرة الأساسية المتمثلة في توحيد الله تعالى والتحلي بالأخلاق الفاضلة، ومن ثم بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة والمتكاملة.

وبعد أسلوب حل المشكلات من التوجهات التربوية الحديثة في هذا العصر، الذي أخذ اهتمامًا متزايدًا؛ نظرًا لما يتطلبه من مهارات مختلفة، وإشراك المتعلم، وذلك من خلال إثارة تفكيره وإتاحة الفرصة له؛ كي يواجه مشكلته ويعمل في حلها، والناظر في سورة يوسف عليه السلام يجد أنها قد رسمت الملامح الأساسية لأسلوب حل المشكلة وهذا ما يرد كثيرًا في القرآن الكريم حينما تثار الأسئلة - التي تستثير المخاطب - فتطلق الطاقات العقلية لديه للبحث عن نهاية محددة، أو التوصل إلى إجابة شافية.

وأوردت السورة الكريمة لنا بعض الإجراءات التي اتخذت من أجل الوصول إلى حل للمشكلة، منها:

دعوة ملك مصر للعلماء المختصين في عصره، وعرض مشكلته عليهم.

إعطاؤهم الوقت الكافي للبحث في إيجاد حل لتلك المشكلة.

عدم توقفه عن تكرار طرح الموضوع، والطلب بضرورة إدامة التفكير من أجل الوصول إلى حل، حتى وصل الأمر إلى أحد ساقته، وتذكر صديقًا له في السجن من الممكن أن يجد الحل عنده، يقول تعالى: (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) (يوسف: 45).

فوائد تربوية من سورة يوسف

إن عشرات الفوائد التربوية تنساب من سورة يوسف عليه السلام، بحيث نجدها مبنوثة عبر كل المراحل في البداية، وفي الوسط، وفي النهاية، وإن أبة محاولة لقراءة هذه السورة؛ لاستخلاص الفوائد العملية المرتبطة بالروح وبالإيمان، وبالأخلاق الزكية، تجعل القارئ المتمق يشعر فعلاً بما يسميه بعضهم "المدرسة اليوسفية"، أو "الجامعة اليوسفية"، ومن أهم هذه الفوائد:

كتم التحدث بالنعمة بالمصلحة جائز، لذلك قال: (لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ) مع أن الرؤيا نعمة هنا (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) إذا لو كتم إنسان نعمة الله عليه ولم يُفشها كيلا يتضرر من الحسد فهذا لا بأس به.

على الأب أن يعدل بين أولاده ما أمكن، ولو كان أحد الأولاد يستحق المزيد من العناية، فإنّ على الأب ألا يظهر ذلك قدر الإمكان حتى لا يُوغر صدور الآخرين.

البيت الطيب يخرج منه الابن الطيب، يقول تعالى: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

تبسبت التوبة قبل الذنب تعد توبة فاسدة؛ قال تعالى: (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ).

أن الشاب إذا نشأ في طاعة الله، فإن الله يؤتبه علمًا وحكمة، قال تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ).

الخلوة بالمرأة الأجنبية في البيت خطر، قال تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الْآنِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ) فهذه الخلوة المحرمة تؤدي إلى المصائب العظيمة.

الله تعالى يُعين أوليائه في اللحظات العصبية بأمور تثبتهم، (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) فهو إذا كاد، لكن أراه الله برهانتًا جعله ينصرف، فالله يعين وليه في اللحظات العصبية.

أن الإنسان لولا معونة الله لا يثبت على الحق، ولولا توفيق الله وتسديده لا يثبت على الحق (كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ).

شهادة القريب على قريبه أقوى من شهادة البعيد على القريب، قال تعالى: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا).

إن قصة يوسف- عليه السلام- تعد من أهم نماذج أسلوب التربية بالقصة بما فيها من أحداث ووقائع بين الأب والأبناء وبين الإخوة مع بعضهم، وبين النفس البشرية وحطوط الشيطان، وبين الإيمان والكفر، وبين القيم والأخلاق، وبين اليأس والأمل والصبر والتضجر، وبين التغلب على المشكلات وتجاوزها، وبين السلوكيات وتقويمها، وبين العدل والظلم، وبين ظهور الحق وبيانه وعودة كل شيء إلى نصابه، آيات للسائلين، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْسَائِلِينَ) [يوسف: 7].

وهذه القصة نموذج للسرد والحكمة والأحداث والشخصيات والزمان والمكان، وبالتالي استحقت وصف "أحسن القصص" باستدعائها لشخصيات حقيقية تتفاعل وتتصارع من الجزء إلى الكل لتصل في النهاية إلى ذروة الكمال، مؤكدة أهمية الابتلاء بالمعاناة والتجلد بالصبر من أجل التمكين، وفي ذلك رسائل مهمة للرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- والجماعة التي أمنت به.

المصدر: المنتدى الإسلامي العالمي للتربية